الى قوله فما حكم القضا على الاشيا الا بها اى هذا المعنى من سر القدر الذى يظهر لمن كان له قلب يتقلب في اطوار عالم
الملك والملكوت او القى السمع بنور الايمان الصحيح وهو شهيد مشاهد انوار الحق في بعض عوالمه الحسية
والمثالية فلله الحجة البالغة اى فلله الحجة التامة القوية على خلقه فيما يعطيهم من الايمان والكفر والانقياد
والعصيان لا للخلق عليه اذ لا يعطيهم الا ما طلبوا منه باستعداداتهم فما قدر عليهم الكفر والعصيان من نفسه
بل باقتضاء اعيانهم ذلك وطلبهم بلسان استعداداتهم ان يجعلهم كافرا او عاصيا كما طلب عين الجماد صورته
وعين الكلب والحكم عليه بالنجاسة العينية ايضا تقتضى ذاته فان قلت الاعيان واستعداداتها فايضة من الحق
تع وهو جعلها كذلك قلت الاعيان ليست مجعولة بجعل الجاعل كما مر في المقدمات بل هي صور علمية للاسماء الالهية
التى لا تأخر لها عن الحق الا بالذات لا بالزمان فهى ازلية وابدية والمعنى بالاضافة التاخر بحسب الذات لا غير
فالحكم في التحقيق تابع للمسالة التى يحكم فيها بما تقتضيه ذاتها لما اثبت ان الحكم بحسب القابلية التى للاعيان وهي
اعيان الموجودات وكل حال من الاحوال ايضا يقتضى بقابليته حكما خاصا عمم القول بقوله بعين المسائل
اذ اللام للاستغراق اى فما حكم الحاكم في الحقيقة تابع للاعيان واحوالها التى يقع الحكم عليها هى اعيان
المسائل التى يقع الحكم فيها فالحاكم في القضا والقدر لا يحكم الا بما تقتضيه ذات الاعيان واحوالها
فالمحكوم عليه بما هو فيه حاكم بقابليته على الحاكم ان يحكم عليه بذلك ولما كان الامر في نفسه كما قرره وليس مختصا
ببعض الحاكمين دون البعض عمم الحكم بقوله فكل حاكم محكوم عليه بما حكم به وفيه كان الحاكم من كان اى سواء كان
الحاكم حاكما حقيقيا وهو من الباطن كالحق سبحانه والمجردات المدبرات لامر العالم [illegible] او
الظاهر كالانبيا والرسل لاطلاعهم على ما في نفس الامر من الاستعدادات بالكشف او الوحي او مجازيا كالملوك
وارباب الدول الظاهرة لكونهم التراجمة في صدور الحكم من الحاكم الحقيقي فاكثر احكامهم وان كان ظاهرها
ما ينسب الى الخطا لكن في الباطن كلها صادرة من الله على حسب طبايع القوم واستعداداتهم واذا كان كل حاكم محكوما
عليه كان المجازات بين مقام الجمع والتفصيل وانما تحقق هذه المسالة فان القدر ما جهل الا لشدة
ظهوره فلم يعرف وكثر فيه الطلب والالحاح اى تحقق سر القدر وانما قال لشدة ظهوره لان كل ذى بصر
وبصيرة يشاهدان وجود الاشيا صادر من الله في كل آن بحسب القوابل كما افاض الصورة الانسانية
على النطفة الانسانية والصورة الفرسية على النطفة الفرسية وهذا اظهر شيء في الوجود وكما يرى ان افاضة الصور
على الاشيا بالاستعداد والقابلية لذلك يترتب افاضة لوازمها على قابلية تلك الصورة وهذا ايضا امر
بين عند العقلا وكثير من الاشيا البالغة في الظهور قد يحقق اخفاها لايجاد بدوه كالوجود والعلم والانا
وانواع الوجدانيات والبديهيات ايضا كذلك الطلب والالحاح على معرفة سر القدر من الانبياء
عليهم السلام انما كان للاستحباب فان الشيء اذا اطلع عليه لا يقدر على الدعوة واجراء احكام الشريعة على الامم
بل بعدد كلامهم فيما هو عليه لاعطاء عينه ذلك ثم اعلم ان الرسل صلوات الله عليهم من حيث هم رسل لا من حيث هم
اولياء وعارفون على مراتب ما هي عليه اممهم فما عندهم من العلم الذى ارسلوا به الا قدر ما تحتاج اليه امة ذلك الرسول

على

والتلبيس لانه لا يكون الا بحسب استعدادات المبلغين اليهم وافعالهم لا زايدا ولا ناقصا واما من حيث انهم اولياء
عارفون بالحق وانبياء عارفون فليس كذلك لان هذين الصفتين بحسب استعداداتهم في انفسهم لا مدخل لاستعداد الامة
فيها فقوله وعارفون اى ولا من حيث انهم انبياء فنبه بهذا الاطلاق على كون النبوة يعطى العلم والمعرفة بالله
والمراتب وعلى ان العارفين لهم نصيب من النبوة العامة لا الخاصة التشريعية وقوله على مراتب ما هي عليه اممهم ما انتها
المراتب الى ما حصران وهي صنفين منهم مفسرا اممهم تفصيل الرسل من حيث هم رسل فالمون على مراتب
اممهم على ما هي عليه والامم متفاضلة يزيد بعضها على بعض فتفاضل الرسل في علم الارسال بتفاضل اممها وهو
قوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض معناه ظاهر وهو بمعنى ذلك اى وذلك التفاضل ثابت بقوله تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض كما هم ايضا فيما يرجع الى ذواتهم من العلوم والاحكام متفاضلون بحسب استعداداتهم
وهو اى وذلك التفاضل هو المشار اليه في قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اى الرسل يتفاضلون بتفاضل
اممهم كما يتفاضلون فيما يرجع الى ذواتهم من العلوم والمعارف والاحكام الالهية وفي الكلام تقديم وتاخير
تقديره كما هم متفاضلون فيما يرجع الى ذواتهم وقال تع في حق الخلق والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
والرزق منه ما هو روحاني كالعلوم وحسي كالاغذية وما ينزله الا بقدر معلوم اى بقدر يعلمه الحق من استعداد
عين العبد كل حين وهو الاستحقاق الذى يطلبه الخلق اى ذلك القدر المعلوم هو ما يستحق الخلق ويطلبه من الحضرة
الالهية فان الله اعطى كل شيء خلقه اى اعطى كل شيء مقتضى خلقه ومعناه دفعة واحدة في الازل ثم جعله ودفعه في
خزاين السموات والارض بل في بعض كل شيء الى ان يظهر الحس واليه اشار بقوله فننزل بقدر ما يشا
اى في كل حين وما يشا الا ما علم فحكم به وما علم كما قلناه الا بما اعطاه المعلوم من نفسه اى ما
يتعلق المشيئة الذاتية الا بما علم الله من الاعيان فحكم بما علم من احوالها وما علم الا ما اعطى الاعيان من
نفسها بحسب استعداداتها فالتوقيت في الاصل للمعلوم والقضا والعلم والارادة والمشية تبع للقدر
اى تعيين كل حال من احوال الاعيان بوقت معين وزمان خاص انما هو في الحقيقة مقتضى الاعيان فانها
تطلب باستعداداتها ذلك التوقيت والعلم الالهي تابع للمعلوم فالقضا والقدر الذى هو التوقيت والارادة
والمشية كلها تابع للقدر اى المقدور اذ القدر بمعنى التوقيت تابع للمقدور كما مر اتفاقا هو المشهور
من الارادة مخصصة او المشية او العناية الالهية مقتضية امر اما محول المشية ~~او العناية الالهية~~ والارادة الذاتية
لا الاسمائية فسر القدر من اجل العلوم وما يفهمه الله الا لمن اختصه بالمعرفة التامة ظاهر فالعلم به يعطي الراحة
الكلية للعالم به ويعطي العذاب الاليم للعالم به ايضا فهو يعطي النقيضين اى العلم بسر القدر
يعطى لصاحبه الراحة الكلية لان العالم بان الحق ما حكم عليه في القضاء السابق الا بمقتضى ذاته ومقتضى الذات لا يمكن
ان يتخلف عنها ثبت له تحصل الاطمينان على ان كل كمال يقتضيه حقيقته وكل رزق صوري ومعنوي يطلبه عينه لا بد ان
يصل اليه كما قال عليه ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الا فاجملوا في الطلب
فيستريح من الطلب عن تعب الطلب وان الطلب اجمل فيه ولا يخاف من الفوات ولا ينتظر العطاء من الله
في كل حين يعطيه من خزائنه ما يناسبه وينفعه واسد ابواب مقصوده شيا فشيا وما لا يحصل له لا يراه من الغير فيحصل
الراحة العظمى وكذلك يعطى العذاب الاليم لان صاحبه قد يكون مقتضى ذاته امورا لا يلائم نفسه كالفقر

Copyright © King Saud University